فداء محمد الكومي

مَـرّسَـى

فِداء محمد الكومي

لِمَ كُنّا . . .

نُقاومُ الغرق دائمًا ؟

ونَحنُ من أَلقَى بِنا . . .

إهـــداء

إليَ مـــرســـى ،
ولكل من أراد مرفأً آمنًا ،
وإليكِ .. وحدكِ تعلمين من أنتِ ،
يا مرساي .

مُـقَـدِمـَة

نرسو على شاطئ الأحرف الذي نجهل ماهيته
فقد نكون نحن تحت سلطة القلم
فيلهوا بنا ..
ونادرًا أن يكون تحت سُلطتنا فنلهوا به نحن أيضًا .

مداد اللغة مشاعرٌ حارة ،
أو عقلٌ جاد لم يسعه ذلك العالم،
تسيل كحبر في أنبوب القلم ،
نخط على الرمال ما نشاء
لنرسم لوحةً يستعصي علينا محوها
فنرحل نحن وأقلامنا وأسمالنا..
إلى شاطئ جديد ..
ونرسوا إما على سطح الورق
أو على سطح عقولنا ..
بلا توقف حتى النضج .

وَهَـــنْ

1

حقيقةً الكتب تبدو مُرتبة
بل لابد أن تكون هكذا ، كي يرها الناس وتُنشر ،
الحروف ليست للنشر فقط ، نستطيعُ أن نبوحَ للقلم مالا نبوحُ بِه للبشر ،
أؤمن أن كتبي لي ، يحق لي أن أخط بها ماشاء ،
أُشاركُ من يهوى المطالعة ،
ولا تهمني الرتابةُ والتنظيمُ دائمًا .

"مرسى" هو الذي سكبت فيه كل ما أملاهُ علي قلبي ،
قلبي يُملي عليّ الكثير أعلم ، لكن مرسى كتبتهُ عندما تعرفت أحد الأشخاص
فرسوت على قلبها وشعرت بالدفء ،
منذ متى وأنا أحارب الموج وأغازل البحر ؟
منذ متى وأنا أحادث المحيط والحيتان ؟
كم من الوقت قضيت أرفع الأشرعة أنزلها ؟
ثُم إلتقيتها ..

التي كانت لا تخشى القلم ، أصبحت تهابه..كثيراً
وكنتُ قائمة ، في حديثي كم كابدتُ
حتى أظهر بعقلي متجردةً من عواطفي أمام الملأ!
تلعثمت ، وتهت ،
رسوت على شاطئ كأن عقداً من الجمال إنفرط عليه،
هَبتْ نسائمُ الرقة حين وصلت
فقررت ألا أتحرك ،
وحقًا لم أعد كما كنت مسبقًا،
لكنني راضية !

الحياة تزداد تعقيداً
آوي للقلب الذي ضمني ،
حقيقة، قلوبٌ عدة، والقلوب لا تتشابه
لكنها في النهاية تظل مأوى للجميع
لكن هناك روحٌ كلما سُددت لنا طعنةٌ من الحياة
ضممناها بكُل ما أوتينا ،
فنُزهِرُ ونولد من جديد

،
لنعد للحياة
تأملت فتألمت ،
ورأيتُ فأبصرت ،
وسمعتُ فبكيت ،
ليتني لا أهتم وليت بالي لا يبالي ،
كانت غلطتي ومصيبتي في التفاصيل ،
لكن لي قلب يعاود الكرةَ ولا يتعلم
وعقلي شاخ ، يأمرُ وينهى
ويخاف ويخشى
وجعًا وهنًا ألمًا ،
لكن ذاك لا يُبالي ،
عاقبهُ عقلي بالرحيل ، بتذكيره بالآلم ،
نفسي الجميلة ذهبت بلا وداع ،
كنتُ أرهم من الأعلى ،
رحلت نفسي إلى حيث الأ شيء،
المعدم ،
والحريق الملتهب ، رحلت ، وبتُ خاوية ،

كمنزل فارغ لا يوجد به إلا ديكٌ
ينوح أناء الليل وأطراف النهار ،
صاحبه يغلق الشبابيك كارهًا الصخب ،
وينهره حين ينوح و يصيح ، وحين يصمت أيضًا ،
وأنا الميتَتُ على قيد الحياة ، بعينان متعبتان ،
لا أُتعبُهما أكثر في رؤية مالم يأتِ لي ،
وجسدي المنهك الذي لا أكترث لما حدث بهِ أكثر ،
أن يتوقف المرء عن التجارب والمغامرات أمرٌ مميت ،
فما الإنسان إلا مجموعة تجاربَ وخبرات ،
لكن عندما يجرب ويجرب ويغامر
ثم يفقد لذة الإنتصار ،
وطعم آلألم ،
فإنه يتوقف جدًا عنها ، فما أصبحت إلا مضيعةً للوقت ،
وإهدارًا للطاقة فيما لا يضر ولا ينفع ،
أشعر أحيانًا برفقةِ أحدهم أن الجزء العقلاني
.. مُحي تمامًا
بعض الأماكن تورث في قلبي وسمًا ،
يُحدثني أنه لا عواطف لدي ،
كأنني "آليّ" أُمر وأُنهى من قبل أحدهم ، هو عقلي

وأحيانًا أخرى لا أحيا أساسًا ، فقط جسد ذا عينان بارزتين
قيل أنهما جميلتان
وهما لا يَمُتَانِ للجمال بصلة ،
ويدان تلوحان كطواحين في الهواء
وفاهٌ يهذي
ولا إدراك ما حدث ولا سيدركُ مستقبلاً ...
أعتقد أنني عبثتُ بالأحرف كثيرًا ،
وسئمن هي والقلم ،
أعتقد أنه على العودة لزاوية غرفتي وإمساك كتابي
وادعائي القرآءة
بينما عقلي يغرق ويصرخ من الداخل :
"أنقذوني فقد أرهقتني أفكاري !"

2

تعلمت كثيراً
الحب لا يباع ولا يشترى وليس سلعة معروضة ،
يمكننا أن نشتري بالأقناع والتحاورِ عقولاً،
لكننا لا نشتري أرواحًا وقلوبًا،
تعلمت أن الفقد موجع ،
العيش بلا والد او والدة مؤلم ،
تصفحت في البشر حولي
كيف تسير الحياة
فعلمت جيدًا أن الغربة تكمن في الروح
لا في الوطن ،
الغربة غربة الأرواح ويالا عزاءاتِ الأجساد ،
علمت أن الكون مشغول ، نعم تيقنتها حقيقة
مشغول جدا ، لا يمكن ان تهيم حُبًا الا بنفسك ،
دعك من هذيان البشر ، لأنك ستلدغ
والسم في اللدغِ مستويات .. فإما تنجو بمعجزة
وإما تموت ..

لا تبحث عن أي شيء ،
إن كان في مقدورك ألا تعلم .. فلا تعلم!
إن كان بوسعك ألا تسمع فلانًا وفلانًا ماذا بينهما فلا تسمع!
ان كان بمقدورك ألا تفكر فلا تفكر ،
التفكير المفرط في الاشيء حين يصبح عادة يتحول إلى
عذاب أيضًا ،
كأنك تجلد نفسك بالسياط ،
علمت أن الجراح الكبيرة سببها تفاصيل صغيرة ،
والتفاصيل الصغيرة هي حقًا كالنقاط على الحروف ،
إن زيدت تغير المعنى وإن نقصت تغير أيضًا ،
واجهت شيئًا وتعلمته بوهن..
بعض الجراح لا تبرؤ بتاتًا ..
بعضها يبقى غائرًا لا يعرف الشفاء ،
كثرةُ الإنتظار تُفقد اللذة عند الوصول،
إن كنت لن تأتي فلا تجعل من يحبك ينتظر
وإن كنت سترحل إرحل سريعًا حتى لا تورث
الوجع في أضلعهم ،
كل شيءٍ بالصبر آتْ، مالعجلة إلا وحش ينهش الروح
حتى إذا لم يأت ماتمنيناه .. مِتنا ،

جميل هو الرضا ، يمنح المرء راحة لا عِتَاب بعدها ،
أن ترضى بما قُسِمَ لك أمر صعب لكنه حلو المذاق ،
لطيف على الروح ، بلسم للجراح ذلك هو الرضا ،
شيءٌ آخر ،ولا أعلم متى سأنتهي من هذه الدروس،
إن إلتماس الأعذار والعفو من أرق ماقد يفعله المرء
لنفسه ثم لمن لهم في حنايا القلب أوطانُ ،
لا بأس في مرة تكون أنت المُقصر في حق نفسك
وحق من حولك ، فتتمنى أن يلتمسوا لك الأعذار
وحقًا هؤلاء هم الأحباء ،
لا تحتاج إلى عذر حتى تعود لهم ،
تعلمت من القلم أن أحترم كل من حولي ،
مهما بدرت منهم التصرفات علي أن أتغابى وأتعامى
وفي ساعاتٍ كُثر أن أصمت ولا أبدي رأيًا ،
المشاعر لابدً أن تحترم ،
تعلمت من القلم الهدوء والأحترام
كانت الكتابة علاج ومأوى و غذاء ولم أشعر أن قلمي
بات يتأفف من ذلك ، بل بالعكس كنت أتنفس الحروف
وكان دائمًا إلى جواري ،

فهمت الأحاسيس النابعة من القلب والأخرى من الروح ،
النابعة عن وجع والأخرى عن وهن والأخيرة عن نحيب ،
لا يصل المرء إلى مرحلة الألم إلا عندما تهوي عليه
المآسي تِباعًا ، ولابد أن يكون صابرًا ،
كالنهر الذي هو أسفل حافةً الجبل ،
كل يومٍ يهوي عليه
بِضعًا بِضعًا من الحجارة وهو لايزال يجري
ويمد كل من يأتيه طالبًا الماء ،
غير أن لا أحد يكترث ماذا حدث للنهر قبل ذلك؟

3

علينا التعايش مع النقص ،
الذي نراه او نشعر به ، فلا شيء كامل في هذه الدنيا،
هذه قناعة لابد أن نُلبسها عقولنا في كل حين ،
لا نحن كاملون ولا من حولنا كاملين ،
الحياة جبر وكسر وحزن وفرح وراحة وشقاء ،
لا شيء دائم ولا شيء كامل ،
من بحث عن الكمال زاد نقصه ، فهو يرى بعين المتكبر المتعالي ، لا يرى أخطاؤه وعيوبه ، لا يبصر سُوء حاله ، يبحث عن الكمال ،
ويعمي عينيه بكل مايراه أو مايتصور هو كماله ،
الحقيقة أن كل شي جميل لا يكتمل ،
وهذه عبرة ولذة آنًا واحدًا ،
العبرة أن الكمال ليس إلا لله فلا يتعالى أحد على أحد ،
ولا محور للكون فالكون أيضًا به نقص كبير ،
العبرة في أن الله جعل خلقه
سواسية لا أحد أعلى من أحد ،

ولا أحد أحق من أحد في شيء
ليس نقصًا في خلق الله لكنها دار إختبار ،
أما اللذة تكمن في الكمال بالمشاركة والمحبة ،
الكون كله قائم على التكامل ،
ما كانت لتنشأ المجتمعات والأسر لو بحث كلن منا
عن آخر كامل ،
الكمال يُزهر ويكتمل حين نبحث عمن يُكملنا بكل حب،
حين نبحث عمن يبحث عنا ،
كأنه رفيق بمقاس قلبك وحجم الثغرة التي تقبع داخلك،
هنا قمة الكمال ،
أن يعلم المرء ويتيقن جيدًا أنه لن يكتمل وحده ،
ولن يصل للكمال مهمًا سلك الطرق المؤدية لذلك،
الله يأخذ ويعطي ،
فإن أعطاك فاحمده وإن منع عنك فاحمده أيضًا ،
فالخير دائمًا في المنع كما هو في المنح .

4

جميلة هي تفاصيل الحياة ، التي تجعلنا ندرك
كل يوم ، كم من النعم نحن محاطون بها ،
أحاطت بنا ولم نحط بها ،
كل يوم نكتشف أن شيئًا بسيطًا حد الذهول ،
كان قادرًا على قلب الموازين وتغير حياتنا ،
كم أدركنا ، كم مرة نشعر بحشرجة الصوت ورغبة البكاء ،
عند الأحساس بنعمة وإدراكها ،
ذاك الشعور الذي يبعث رجفة إمتنان لله ،
خوف قلب ودمع عين ،
حين تستشعر حقًا أن الخير كله في أنك بكامل عافيتك،
في أنك ترى عائلتك بأكملها ، لا فرد ينقصكم،
لاأخًا وأختًا ، حتى إن شبت نار الخلافات بينكم،
نحن في نعم لمجرد وجودهم،
كيف تعيش وتدرك نعمة وجود الحنونة في منزلك؟
تلك التي تناديك وتوبخك ،إبتسم فكم أنت في نعبم،

كيف تعيش ألم تدرك بعد قيمة فارسك ؟
والدك ، الذي هو عصب الحياة أصلاً ،
إبتسم أنت في قمة النعيم ،
أرق شيءٍ وأصغر شيء ، ترى إبتسامة طفل ،
تمسح عنك هَمَ دُنيَاك مُذ بِدايتِهَا ،
تُدرك حقًا كم أن لطف اللّه خفي ،
يجعلك تفرح وتبتسم لبسمة طفل ، انت لا تعرفه
هو لا يعرفك ، لكنك سحرت بأناملة الصغيرة
كيف يُلَوح لك ، أتشكر الله على رسائله أم على نعمة البصر
أم على نعمة الأحساس أم على نعمة الكائنات الصغيرة ،
كثيرة هي التفاصيل الصغيرة ،
المُصغرة ، التي نتناسها كثيراً لإنشغالنا بالكبيرة ،
أعلمت أنك في نعيم لأنك محبوب؟
فقط !
كم أُنسِيّ تمنى أن يحبه أحد ،
فقط
شعور الحب ، أن يُقال لك" أحبك" ممن تحب
هذه نعمة ، أنك بين أحبائك نعمة ،
قدرتك على الإبستام فقط نعمة بحد ذاتها ،

نحن .. نحن ..
وأسفاه على نحن ، كم نحنُ محاااطون
من كل جهةٍ بنعيمٍ مقيمٍ مُختَلف ،
لكننا لا نَرى سِوى القطعةِ الناقصة ،
نرى مالا نملك ، ونُعمى عما نملك ،
عندها نشعر بالغَضب ،الرّغبَة في الأنتِقَام ،
تذكر دائمًا مالديك حُرم منهُ غيرك ،
وما لديه حُرمت أنتَ منه .

5

أعلمُ أن العالم يتطور لكنني للتو أدركت أن العقل البشري
صعبُ التطور جِدًا ، بل هُناك من يرفضهُ أحيانًا ،
أعتقد أن كل شيءٍ يحتمل الخطأ والصواب في آنٍ معًا ،
لماذا قد يرفض المرء التغير ،
كل المبررات تقول أن الأنسان يرفض المعاناة
والتأقلم من جديد ، هو يحب الراحة ، لكن لننظر إلى مبدأ
نسهو عنه كثيرًا ، إتعب لترتاح ،
حقيقةً التعب فقط يُشعرنا بالراحة ،
أفهم وأتفهم كم الطريق يطول ويكون مليئًا بالمآسي ،
لكن لذة الختام تُنسيكَ ألم البداية ،
ثم شيءٌ آخر ، من يكره التطور ، والتجدد،
من ؟ لماذا نرفض كل غريب ،
كان إبن خلدون يرى كل شيءٍ قبل أوانه
فقال : "لولا إختلاف الأذواق لبارت السلع "
جميل هو حقًا إختلاف الأذواق ، تغير الأحوال ،

لا بأس في بعض التساؤلاتِ عمقٌ من نوعٍ أخر ،
في وقتٍ متأخر أشعر أنني أدركت حكمة الله ف
ي الموت بين الـ60 و الـ70 سنة ،
يعني لو تفكرنا قليلاً في فكرة الخلود لوجدناها مُمميته ،
كيف يتأفف المرء من الحياة الآن ،
ثم بعد قليل يُفكر في الخلود؟
كيف أن الله يُخبرنا بأن للمرء
طاقة معينة تفنى أبدًا عند حدٍ معين ،
لو تأملناها في كبار السن لرأيناها ،
هم لا يسعون للمتعة آخر أيامهم ،
لكنهم يجارون الوقت الضائع من أعمارهم
وهم على يقين أنهم سيرحلون ،
الحياة لا يُمكن أن تستمر بلا متاعبٍ ومشاق ،
وتلك من حكمة الله أن يختبر المرء ثم يأخذه ،
حين ينتهي من المهام التي خُلق لها ،
وإن كُتب أن عُمرهُ يومان ،
لنتصور , أحدنا يعيش 1000 عام ،
هل يستطيع تصور مايحدث؟
ماحدث ؟ هل سيصدق؟ كيف نتواصل ؟ عملياتٌ معقدة،

نحن أبناء الجيل لا نفهمها فكيف بمن هم قبلنا ؟
لو عاش المرء وكان شاهدًا على جيمع أنواع الكوارث ،
منذ 300 عامٍ إلى الآن لمات مفجوعًا ،
العقل البشري له قدرات محددة ، أي تغيرٍ فيها
وزيادةٍ على طاقته .. يفنى .

دَوِیّ

١

أن يكون لديك رغبة في البكاء ،
فقط عندما تحتضن أمك صباحًا ،
أو تمسك يد صديقك ،
أو أن ترتمي في حضن من أحببت تشعر أن الدمع موجود
لكنه مختنق وأنت ايضًا مختنق ،
تتمنى أن تجلس ، بهدووء
بلا هاتف حتى تستريح ، تستريح فقط تريح ذهنك من
الشتات ومن كل هم يلاحقك ،
تود أن تغمض عينيك ..
لكن إن أغمضتها دقيقة ستنحب دهرًا !
الليل بلا طعم والنهار بلا طعم ،
فقط تتسأل لما كل هذا ؟

٢

إن إخترت أن ترسو بسفينتك ،
فترقب الشاطئ المناسب ،
فكل مرسى ستحط عليه ستدفع ضريبة قدومك له !
هذه سُنّة الحياة !
كالقطار ، أنت القبطان وقد تقف في محطة ،
إنتقي رُكّابك ، وإنتقي مقطوراتك ،
لا تُدخل أحدًا غرفةً ليس أهلاً لها ،
ولا ترسو على شاطئٍ ليس أهلاً لك.

٣

حيث كانت الجمل والأحرف تغفو
على إحدى الأسطر تسكن
أتيت لأمزجها وأزعجها لأخلق بعض الكلمات
أصف بها مشاعري..
أبيت إلا أن أحيك لي منزل منها
لعلها تأبى ، وهذا من حقها
لكن أأمشي هكذا دائمًا..؟
بلا هدنة أنا وركبي ،
أنا وقلبي المتلف
وروحي المنهكة !
سأمشي إلى متى؟
هل حقًا يمشي الزمان معي !
أم أن الوقت تعطل
وأنا أمضي أسيرةً للسراب
فقط!

٤

وسط الزحام ،
أعينٌ تائه ، قلوبٌ متعبة
صخب ملفت ،
زمجرة العقول تعلو وتعلو
وتنخفض
مرة واحدة
بلا تمهيد مسبق
صوت مدوي
إنه إرتطام الحديث
صَمت الجميع
على السطر الأخير
الشخصيات تنتظر إشهار السلاح
لكنه لم يحدث بعد.

٥

وددت أن أعفوا قليلاً
ليس عن البشر
بل عن القلم
القلم الذي تحمل الكثير
وددت لوعفوت عنه
لما فعلت به من مآسي
لا أعلم أأنا أهابه أم هو الذي يهابني ؟
من الذي سيعفو عن الآخر ؟
أنا أم هو ؟
من الأسير .. من الذي وقع في الغرام أولاً ؟

٦

سنعود يومًا
وإن لم يكن المكان نفسه ..
سنعود ... إما بالرفقة السابقة
وإما بأنفسنا
بلا يدٍ تَصحَبُنا ..
ثقي .

٧

زجاج مغطى بالضباب
خلفه ذلك الخيال
أحسبها عينيان
لكنه زجاج
أنظر إلي؟
ما ذلك الظل الذي يقترب؟
أهو حقًا؟
ماذا يحمل بين يديه ؟
وإن عاد ..
كيف سيدخل !

أنت عدوي !
الذي يظهر في المرآة
أيكون المرء عدو نفسه ؟
هل هذه صورتي ؟
أم هذا أنت ؟

٨

مراسيّ الصغيرة
مرافئي تلك
أماكني المفضلة
دفئها ،
حنانها ،
رونقها ،
أماكن لقائنا
تحت النخله
عند السُلم
عند الأبواب الموارَبة .

بماذا يذكرني ؟
يذكرني بتفاصيلك ،
إن لم تعلمي
فأنتِ لروحي المرسى وأنتِ الطبيب!

٩

متى تهدأ عاصفتك؟
نعم ، عقلك الذي يعصف بلا توقف !
ألم تنصحيني أن أكف عن التفكير؟
إذًا ..
ماذا عنك؟

كنتُ أنا في محلمة فكرك
أرى مايدور في رأسك بصمت بليغ
أعلم أن تأملي ذاك يزعجك
لكنني لا أحب إزعاجكِ وأخاف عليك
فأطالع بصمت
حتى إن حدث وضللتِ الطريق أراكِ
فلا أدعكِ.

١٠

يبدأ الألم بحط أسماله شيئًا فشيئًا على قلبي ،
فأشعر بوخز فظيع ...
لينتشر شيءٌ هو أشبه بالسائل حتى يختلط في دمي ،
لشدة الوجع أتجمد
لا أعرف حرفًا ولا دمعًا
أنسى الركض
أنسى الصراخ
أنسي نفسي
فقط وجع عميق
بلا حد الآلم
كأنني بترت عضو
لكنني الحقيقة بترت فكره
الإستئصال الحسي
اقوى من المعنوي
البتر في كل حالته موجع
لكنه الضعف المضاعف بلا مخدر
في أرجاء العقل وكل زوايا الروح

١١

لماذا نعاود التقليب في الصفحات
لعلنا نرى خطأ
أو نجد سببا مقنعا
لمَ؟
ألهذا الحد أنت غالٍ على قلبي؟
أم أن الغالي يرخص ؟
والثمين يبهت؟
أم أنا أفعل ذلك مخافةَ على مشاعري وفؤادي؟
كيف أخاف عليهما وقد تجرعا المُر بكل ألوانها ..
المرء يتعلم من كل شيء إلا الهوى ..

١٢

عاقبة أفعالك التي ظننت يومًا أنها مفيدة..
تتجرعها بمرارة ..
وتصمت .

لم أجد أُنسًا لقلبي
فحدثتُ أفكاري
ندمتُ قليلاً فقد آذتني وهي مني
فما بالي بالبشر؟

١٣

:لا أثر لأي خيط؟
:كُلُ شيءٍ واضح ،
قلبي فقط
يتعامى..
مات العقل وجعًا من شدة التفكير
وإهترء القلب .
:من ماذا ؟
: قلبي .. إهترء من نبضه ..
الذي تسارع فجأةً
حتى كاد يُميته.
:أولم يكن دوائكِ حين رؤيته ..
: من أعلمك أنها هو ؟
: ذلك السراب .. الطّيف الذي يراودك ..
كيف لا أعلمه وأنتِ صديقتي ...
: حسنًا ..

١٤

هل حقًا
"كل ماتسعى إليه يسعى إليك"
أم أن السعي في حين يكون إلى طريق مسدود؟
أم أن ذاك لا يسعى إلي..

١٥

لا أقبل أن أكون البديلة
وإن لم يكن لدي رفيق سواك!
لم أستبدلك يومًا
فعلامَ إستبدلتني؟

اللهم إحرمنا من لمعة البدايات وأفول النهايات.

١٦

قد نرخي قبضاتنا لكن لم نفلتها بعد ،
ولأنني لم أفلت يدك وأدعك فلا تفلت يدي ،
قد نرتخي ثم نعود .. لا تحسبني أُشغلت عنك
أنت في كل الآن كل الفكر ،
فلا تدعني لمجرد أنني أرتخيت ،
لا تكن ممن يهون عليهم قوة القبضة في البداية
ولا تحسبنني ممن يلمع في البداية ويأفل في النهاية،
إن قلت أنا بجوارك فأنا بجوارك حقّا إلى النهاية ،
وإن كنت قد أُثقلت بما لا أطيق ولم أخبرك
فأعلم أنني سأكون بخير ،
ولأن لم أحدثك فقد حدثت الله عنك كثيرًا
في دعائي!

١٧

نَاضلنا ..
ولم نصل للحلمِ بعد..
ثم ،
لم نيأس ،
فكيف السبيل؟

لا أعلم ،
أأطفيئتُ أم انطفأت؟
الرياح التي أخذتك
أطفأتني
فهل أنطفأت؟

١٨

بكيت بكل ما لدي ،
ولم يفرغ قلبي بعد،
كنت أعتقد أنني لا أحن لذلك ،
عاودت فتح الرسالة ..
شممت الرائحة
رأيت خيالكَ في الأحرف
ثم قبيل أن أقرء
تحسست بروزها كثيرًا
وقرأت أسمي
بطريقة ندائك لي
ثم بكيت ولم أكملها .. ،
كل مرة يحدث ذلك
وتبقى تلك الرسالة بين جميع البرديات التي تصلني
هي صك المحبة الوحيد
الذي ملئ روحي
وشَقَ قلبي .

١٩

إكتملت الحكاية
واكتمل القمر .
صفحة كاملة إمتلئت بك
هي أجمل صفحات كتابي .

شمعةٌ أوقدت ،
منذ قديم الأزل
وهي تذوب ببطئ
ويحترق فتيلها بهدوء تام
ولم يلتفت إليها أحد .

سِـرَاخ

١

ليل ،
صوت دقات المطر على شباكي،
شمعتي ، ذات الفتيل المحترق
تلفظ الأنفاس الأخيرة ،
تنشر رائحة الأقحوان في أرجائي ،
وفراشة حطت على سطح نبتتي
برقة ترف بجناحيها ،
تعلن عن الرحلة القادمه
في قاعة قلبي ترف ،
ثم ينادي عقلي علي ،
أنا وذهني الشارد المتأمل ،
كطفل ضائع ،
أضاع نفسه ،
يتأمل البهجات الملونة على شفاة البشر
حيران بين العديد من طرود الفِكَر،

ونادى عقلي فهرع ذهني له
أحضر ذلك الطفل التائه ،
يريده أن يتجاوز السور
غصبا عليه ،
يريده أن يواجه قلبًا أنتِ كل أحاسيسه ،
ودفترًا أنتِ نصف صفحاته ،
كأنه يرغمه على حربٍ وهو لم يبلغ سنه بعد ،
ذلك الطفل البريئ
يعطيه عقلي السلاح ليواجه صورتك
فكان السلاح قلمًا
وأرض المعركة ورقة
والمؤنة حروفها ..
وكان ذهني الطفولي يحاول استعاب ذلك كله
فكان في حرف طاحنة مع صورتك ،
يصف جزء وينسى جزء ،
يخطئ ثم يعيد الكتابة ،
أرض المعركة أزهرت بكل حرف حمل ذكراك
لكن ذهني يشرد فيكِ

وهو من أحضره عقلي ليتأملكِ ويحارب دونه ،
فبات الشرود ملجأ وملاذ ذلك المحارب ...
يأخذ الهدنة منكِ إليك.

المؤنة تنفد ،
الأبيات تقطعت بها السبل وصفًا ،
حار النبض فِهمًا ،
فما عاد في مقدوره أن يصف .

٢

يعبث قلمي المتواضع ،
يبعثر فكرة النوم ويبقيها بعيدةً عن عقلي
فيشغلني بكِ دائمًا.

مالذي يحن بالضبط؟
القلبُ أم الروح؟

في يومٍ كان ..
رُزقنا ماكان ..
ثم كان لقلوبنا..وأحيانًا لأرواحنا..

٣

لم أتحدث ولم اعلم من حولي
بهدوء سحبت الدفتر البني
ذو الأوراق المبعثرة يمنةً ويسرى
فتحته وهو يزقزق
وبعض الزهور تتطاير منه
كأنني فتحت صندوقًا عتيقًا في قبو مهجور
دفتري مليئ بالذكرى
بالذكريات التي يستحيل علي نسيانها
وفي ذلك الفصل
الذي كتبت عليه سبعة حروف
هو اسمها
فتحت الصفحة التاليه
مليئة بالرسائل
بالزهور
برائحتنا التي أحببنها سويًا
لم تدعني يومًا

ولم تغب عن بالي لحظةً
أي صديقةٍ تلك؟
في كل مرةً أشعر بالدم يحتبس
والزمن يتوقف
وعقلي يغفوا
على لحن تلك الحروف الشجيه
عيناي لا يرف جفناها
عندما ترى رسمة كل حرف
كتبته بكلتا يديها الحريرية
يداي أمررها على الحروف
برفق
خشيةً من مشاعري المرهفه
أخشى أن تصلها عبر الحروف
أقرأها
وتُسكب كل جملة في قالب الحب
كل بروز لأي حرف
لأي قلب رسمته هي
ملأتهُ باللون الأحمر

يُنبت في القلب زهره
ويرد علي روحي ردًا بطيئًا
إلى أن أصل إلى أخر رسالة كتبتها لي
ثمان رسائل
أعيد قرائتها كل يوم
بشكل جديد
وطريقة مختلفة
كأنني أبدء حياتي من جديد
وأرسم خطّا جديدًا اليوم لي
برسائلها
لفرط شوقي أتأمل
ولفرط حبي أبتسم .

٤

وتغيبين عن العين ،
ولا تغيبين عن القلب البتة ،
وفي السطر الأخير ..
كنتِ كل الحروف ،
والنقطة ، اسمكِ الرنان
صاحب الفن العظيم في اضطراب نبضات قلبي ،
هكذا أنتِ
الحاضرة فِي القلب الغائبة بين صفحات البعد ،
لا أطوي الصفحات على ذكراك فأنا لا أطيق
ولا أتناسكِ أو أنساكِ فأنتِ المرآة التي أراني فيها .

٥

أفقتْ ..
رائحة غريبةٌ تنبعث في الأفُق
فقد عقلي السيطرة على تفكيره
فكان شبه مزدحم
طابورٌ طويل
من الأفكار التي تحمل بين طياتها
رسائل ذات طابع مبهم
توصل الطرد إلى البريد ..
وتعود أدرجها ، بلا عودة
أَنَهُ حفيف الريح ،عصف بأوراقي
فَسقطتُ ،أنا وهيّ
إلى الذي لا أعلمه ولا تعلمه
إلى متى ، لا أعلم
أيسقط أحدهم من أعلى جرف بلا صراخ؟
أم أن الصوت لا ينتقل في الفراغ ؟

٦

إن كان لي مساحة بحجم الأرض لعبأتُها لكِ ،
علمتُ أن هذا الكوكب لا يسع مافي قلبي
فصعدت إلى السماء في كل دعاء ألهج باسمكِ ،
لأخبِركِ شيئًا .. أنتِ الحياة .

إليك ... .

هذه آلمي المبعثرة ..
أتعلمين مجرد التفكير فيك يلم شُتاتي؟
أتعلمين كم مرةً بكيت وكان طيفك سر إبتسامتي؟
أتعلمين؟

٧

لحظة تأمل
تخيرينني بين النظر والتأمل ،
دعيني لا أفكر
وسأدعكِ لا تمهلني وقتًا ،
بلا نقاشَ التأمل ،
إخترتُ أن أكسب أجرًا
وأُنعم قليلاً من نعيم الدنيا .

٨

أعيد السماع ،
لمقطوعتي المفضلة ،
صوتكِ ، يحي في شرايني الدماء ،
فتجري مسرعة إلى قلبي
تخبره أن عقلي فقد الأوكسجين
حالة طارئة ،
يتنهد قلبي
يكاد يخرج من قفصي الصدري ،
وعقلي لا يزال في غرفة الأنعاش.

٩

أريد أن أنام ، بهدوء ولو لمرة واحدة ،
بودي لو أن هناك مقبض أسحبه فيطفئ عقلي قليلا
يريحني
من هم مايفكر به ،
سئمت سئمت سئمت ،
أنام ونصف رأسي يطن من التفكير
وعيناي كقدر الضغط ، قليلا وينفجرا بالدموع ،
ياللاهي لم أعد أحتمل ،
لماذا كل ذلك بلا فائدة ؟
كأن عقلي يريد تعذيب نفسه!
إصبر ، أنت توجع قلبي وتملئ عيناي بالدموع
قلبي يأبى البوح لأحد
وعيناي منذ أمدٍ بعيد
تكابد نزول دمعة الهزيمة منها ،
حسبك قد تعبت !
حسبك قد مللت
حسبك حسبك قد أُنهكتُ وربي .

١٠

كنت دائمًا أود الكِبر ،
لم أكن أفكر في أن أعود طفلة،
لماذا؟
لأنني أن عدت طفلة فيتوجب علي التعلم من جديد
ومجابهة الآلم من جديد
ليس لدي طاقة كافية في تحمل كل ذلك مرة أخرى ،
لن أتحمل رؤية الحياة من بدايتها ،
إنتهيت هنا ،
أريد أن أؤدِ عملي سريعًا ثم إما أن أقعد في الدنيا هكذا
بلا هم على كتفي أحمله
وإما أن يريح ربي ركابي في الدار الآخرة .

١١

وقتٌ طويلٌ مُحترق ،
الماضي لا يمضي بهدوء ،
يضرمُ الذكرى في القلب ويرحل ،
ثم يعود ،
قد رأيته رأي العين ،
لماذ الضعف والهوان ،
ماتمنيت إلا أن أعيش وحدي ،
في سكينة ،
كم كان الماضي جميل
لكن الحمد لله أنهُ لا يعود ،
ليتها كانت أعوامًا خالية ،
ما أردتها سنواتٍ مُشتَعلة .

١٢

أقرؤ الأذكار
بنيةٍ أن يقيني ربي من الحياة
لا من رماتها وأعينهم ..
أسأل الله أن يحميني من رمادها الذي يعمينا
أتمنى ألا أواجه رصاصتها القرمزية من جديد
لا أعبث ولا أود العبث
أريد قضاء ماتبقى لي من عمر في سلام ،
إن لم يكن خارجيًا .. فسلام داخلي

١٣

صمت عقلي أخيرًا
لكن المصيبة أن الألم وقود القلم
فتحدث قلمي ..
يجسُ نبض الآلم وشدته ودرجة حرارته
كـ(ممرضة) تنقل ماتراه من حال المرضى للطبيب فقط ،
الطبيب عقلي أغلق مكتبه ،
أراد الأستراحة بعد أن إشتد حال المرضى سُوءًا.

١٤

صوت محرك السيارة ،
مقاومة الهواء تصدر صوتًا كما درست في الفزياء ،
نمشي عكس الطريق
تذهب الأشجار إلى الخلف وتتقدم السيارة إلى الأمام ،
هل يذهب الشجر إلى الخلف ؟
أم نحن من يراه يتراجع؟
إنها الحياة بصورة نمطية غير مُركزة،
تكون الأشياء ثابتة لكننا نراها بوجهاتنا
إما ان تتقدم معنا وإما تمشي معنا ،
كالقمر .

١٥

إنتظرتك طويلاً ،
أما آن لك أن تعود؟
أما آن لك أن تأتي ؟
أنت ورائحتنا ، تلك التي قلت لي أنها ستنافس القهوة
إن شربناها سويًا ..
أما آن لك المجيئ؟
أما علمت أنني أفتقدك؟
أما كنتَ على دراية أنني أشعر بالبرد ينخر عظمي؟
فقدت الدفء وإن أُحطتُ بآلاف الأغطية والمدافئ ،
ألن تعود؟
وترد علي روحًا أنت سالبها؟

١٦

نصٌ تركت نصفه لم اكمله ،
كانت بدايته"إنها الرابعة والنصف فجرًا"
بعثرت الحروف ،
أحرقت بعضا منها لأدفء
لكن ليس بعد .

أنا أنتظرك ..
أنتظرك دائمًا ، لا أمل الأنتظار ،
نعم صار الألم والأمل جزئين لا يتجزأن مني ،
نصف يموت ونصف يحيى وعله يكتمل .

١٧

لا أبشع من الجرائم التي نرتكبها في حق أنفسنا،
أو .. في حق بعضنا البعض.
هي تضاهي أو تكاد تتجاوز الجرائم الجسدية ألمًا ووهنًا ،
بل هي الدافع أحيانًا لإنهاء بعض الحيوات!
لنعلم أننا عندما نرتبط بشخص فذلك لا يعني
أننا امسكنا دمية ، أنت تمشي في طريق مع أحدهم
وتمسك يده إياك والإستهانة في إفلاتها!
مشاعر الناس وقلوبهم ليست دُمًا نلهوا بها كما يحلو لنا!
عليك أن تعلم إن إبتدأت شيئًا كيف تنهيه،
لا تتركه في منتصفه ، إما أن تبدءه وتنهيه
وإما ألا تبدأه من الأساس!
حفاظًا عليك وحفاظًا على من حولك!

١٨

حين ألتقيك ، سأحتضنك بحجم إشتياقي ،
سأخذ وشاحيَ المفصل وألحفك معي به،
سنضعه على كتفنا سويةً ، سأمسك يدك برفق
أتحسس برودتها كما هي لا تدفأ أبدًا،
أضع في يدك اليمنى كوب شاي ،
أو قهوةً عربيةً سأصنعها بكل حبٍ لكِ فقط ،
وسأمسكُ يدكِ اليسرى ونمشي سويًا.

خـــاتـمـة

كُنتُ قد كتبت مرسى في وقتٍ قصير ،
ثم أيقنتُ بعدها أنها ليست بحجم المُدة ،
بل حجم العبرة التي تحملها الأحرف ،
في كُل مرةٍ أخُبِر أن ماخُط بالقلب
يستعصي علينا خِتامُه نحن " الكُتاب " ،
لكن مرسى لم يكن نسيج حروف القلب فحسب ،
بل هو من نسيج من أرواح من أحببتهم أيضًا ،
وعقلي الذي دائمًا يُحب الفلسفة .

مراسِ الحياة كُثر
كبعض الإبتسامات ،
وبعض الكلمات ،
بعض الأحضان ،
بعض الأعين ،
بعض الرسائل ،
بعض الروائح ،
وبعض الأمكان ،
بعض الأشخاص ..

مَـــرْسَـــى

هل حقًا
"كل ماتسعى إليه يسعى إليك"
أم أن السعي في حين
يكون إلى طريق مسدود؟
أم أن ذاك لا يسعى إلي..

فِداء محمد الكومي